انتصارات العرب

amirart1969



# معركة القادسية

ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net



انتصارات العرب

# معركة القادسيّة

محمد علي قطب

دار المسيرة
بيروت

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال اللهُ تعالى:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَعُيون • وَزُرُوع وَمَقامٍ كَرِيم • وَنِعْمَةٍ كانوا فيها فكهين • كذلك وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخرين • فما بكت عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ وما كانُوا مُنْظَرين﴾.

صَدَقَ الله العظيم

سورة الدخان

الآيات (٢٥-٢٩)

# توطئة

مِنْ أَعْلام نبوَّةِ سيِّدنا رسُول الله ﷺ ما حدث عند حَفْر الخنْدق يوم غزوة الأحزاب، فقد جاء في صحيح الإمام البخاري عن « جابر بن عبد الله » - رضي الله عنه - قال:

« إنّا يوم الخندق نَحْفر، فعرضَتْ كُدْية شديدة، فجاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا: هذه كدْية عرضَتْ في الخندق، فقام - وبَطْنُهُ مشدود بحجر - ولنا ثلاثة أيامٍ لا نذوق ذواقاً، فأخذ النبي ﷺ المعْول فضرب، فعادَتْ كثيباً أُهيل ».

وعند الإمام أحمد (بن حنبل) والنسائي:

« فاشتكيْنا ذلك لرسُولِ الله ﷺ فجاء فأخَذَ المعْول فقالْ: بسم الله، فضرب ضَرْبةً فَنَثَرَ ثلثها وقال: الله أكبر أُعطيتُ مفاتيح الشام، والله إِني لأَبْصِرُ قُصُورُها الْحُمْر السَّاعة، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال: الله أكبر، أُعْطيتُ مفاتيح فارس، وإِنّي والله لأُبْصر قَصْر المدائن الأبيض الآن، ثم ضَرَبَ الثالثة فقال: بسم الله، فقطع بقيَّة الحجر، فقال: الله أكبر أُعطيتُ مفاتيح اليمن، والله إِنّي لأُبصر أبواب صنعاء من مكاني الساعة ».

وَصَدَق رسُول الله...، فما هي إلاّ سنواتٌ قليلة بَعْد لحوقِهِ بالرفيق الأَعْلى حتى كانَتْ جُيوشُ الإسلام وأَرْتالُ المؤمنين تنساحُ في تلك الديار، ترفع راية الحق وتبشّر بكلمة

التوحيد، وترفع عن كاهل الناس عِبْء الجهل وكابُوسَ الظُّلْم. ولئن كانت معركةُ «اليرموك» بيْن المسلمين والروم مفتاح الشام وما بعدها، فإنّ معركة «القادسية» كانت البوّابة الكبْرى نحو «فارس»، ومن ثَـمَّ إلى أعماق الشرق الأقصى.

ولم تكن هـذه الفتوحات استيلاءً على أرضٍ واستغلالها، أو تسلُّطاً على الشُّعوبِ واستنزافها وقَهْرها، بل كانت فَتْحاً في العقول والقلوب، وإخراجاً للناس من دائرة الظلام الضيقـة إلى رحابةِ النور واتساعه، وكسْراً للقيودِ والأصفادِ التي أَذَلَّتها عن طريق عبادة «القيصر» أو «فرعون» أو «كِسْرى».

إنها - يا عزيزي القارئ - تصحيح لخطّ المسار الإنساني عَبْر الأجيال، وتحريره من رِبْقَة الجهل والتجهيل.

وكما « اليرموك » نهير صغير، لا يُعَدُّ من حيث التضاريس والخريطة الجغرافية شيئاً، إلا أنّه دخل التاريخ بسبب المعركة الفاصلة التي جرت عنده، كذلك القادسية...، فهي قرية مغمورة، لا شأن لها ولا وزن، لكنها فرضت نفسها على صفحات أسفار التاريخ من خلال المعركة الحاسمة التي حدثت فوق أرضها.

والآن تعالَ معي نجول في صفحات أيام القادسية.

# المسلمون في العراق

تواجد المسلمون في العراق منذ أوائل خلافة أبي بكر الصدّيق - رضي الله عنه - عندما ارتدّت بعض القبائل العربية عن الإسلام في كثيرٍ من نواحي أرض الجزيرة العربية، وقد عقد - رضي الله عنه - عِدَّة أَلْوية لبعض الجيوش وجّهها إلى مختلف المناطق لإعادة الأمور إلى نصابها، وَضَبْط الخارجين والمنحرفين.

ولقد كان «المثنّى بن حارثة» - الشيباني - من القادة الذين تولَّوا مسؤولية المواجهة مع المرتدّين أو المتنصّرين في العراق وعلى حدود فارس.

كان فارساً مقداماً شجاعاً ، صاحب رأي وحَرْب ، مطاعاً في قومه وعشيرته ، ينهض على رأس بضعة آلافٍ منهم ، وممن انضم إليهم ، في خوض غمار المعارك ، ويخرج من أكثرها منتصراً .

على هذا ، كان « المثنّى » - رضي الله عنه - أَوّل قائدٍ إسلاميٍ يواجه قُوّات عملاء فارس من العرب ، وينتصر عليهم ، ثم يقسرهم على الخضوع والإستسلام ، ثم يضطر بعد ذلك إلى مواجهة قوات فارس التي بدأت تظهر في الميدان وقد أحسَّتْ بضعف مقاومة عملائها ، وبالخطر الذي يهدِّد حدودها وسلامة أراضيها ؛ ولقد نازلها في أكثر من معركةٍ وهزمها فيها كلها .

# خالد في العراق

بعد أن أدّى « خالد بن الوليد » - رضي الله عنه - قسطه من جهاد المرتدّين في « اليمامة » وغيْرها. وبعد أن توالت أَنْباء « المثنى » من العراق وقتاله وانتصاراته، واتساع رقعة أرض المعارك، ارتأى الخليفة « الصدّيق » - رضي الله عنه - أن يوجّه « خالداً » إلى العراق، ليثبّت الوجود الإسلامي هناك وليحضّر الأرض والشعب لمعارك الفتح الكُبرى.

ولقد كانت قوات « خالدٍ » ومعاركه في مختلف المناطق من أرض العراق بمثابة

الضربات الصاعقة المتنقّلة، لا تهدأ ولا تستقر، فبعثت الرعْب في القلوب، وأدخلت الجزع إلى النفوس؛ وجعلت أكثر المدن والنُّجوع تدخل في حوزةِ المسلمين إما صُلْحاً وإما حَرْباً.

# من العراق إلى الشام

وحين بعثت جيوش الشام الإسلامية إلى الخليفة الصدّيق تستنجده وتستشيره في أَمْر تحرُّكها وخططها إزاء تجمعات الروم، اتّخذ قراره، فطلب إلى « خالدٍ » أن يتوجّه من العراق إلى الشام على جناح السرعة في قِسْم من القوات الإسلامية ليكون نجدة لإخوانه في الشام.

فخلَّف مع « المثنى » بعضاً من الْجُنْد وقام بالرحلة المغامرة، مجتازاً مفازة بادية الشام في غضون أيامٍ قلائل، تلك المغامرة العسكرية الكبرى التي لا تزال إلى يومنا هذا موضع دراسة واهتمامٍ لدى أكبر الأكاديميات الحربية في العالم.

# «المثنّى» وحده في مواجهة الفُرْس

كانت بلادُ فارس في تلك الأثناء تعيش جوّاً من القلق السياسي، وتبدُّل السُّلطان بين عشيةٍ وضُحاها وتتنازعها الصراعات الداخلية، ويُقْلقُ بعض قياداتها ما يجري على حدودها المتاخمة لشبه الجزيرة من مدٍّ عسكريٍّ إسلاميّ؛ أما البعض الآخر مِمّن كانت تتحكّم في نفوسهم غطرسة فارس وعنْجهيتها فكانوا لا ينظرون إلى كُلِّ ذلك إلا بمنْظار الإستهانة وعدم المبالاة.

غير أن الأمور استقرّتْ إلى حدٍّ ما، وراحت تلك القيادات تُولِي حدودها مع

العرب عناية أكثر واهتماماً أكبر، وتعدُّ العُدَّة لمواجهة المسلمين.

إزاء كُلّ ذلك نظر «المثنى» إلى مُسْتقبَلِ الأَيّام نظرة الخبير المجرّب، ورأى أَنَّه بما بقي لديْه من قواتٍ قليلة لا يستطيع أَنْ يُواجِهَ القوات الفارسية؛ فقصد إلى المدينة يطلب النجدة من الخليفة والمددِ.

وكان «الصدّيق» - رضي الله عنه - يعاني من مرضه الذي توفّي فيه، وقد عَهِدَ إلى «عمر بن الخطاب» - رضي الله عنه - بالخلافة من بعده، فأَوصاهُ أن ينْدب الناس إلى الخروج مع «المثنى» وقتال الفرس.

# قيادة جديدة

أَقام «المثنى» في المدينة أَيّاماً شهد خلالها دفْن «الصِّدِّيق» وتولية «عمر» - رضي الله عنهما -؛ وكان أوّل ما فعله «عمر» أَنْ نَدَب النّاس إلى قتال الفُرْس ودعاهُمْ إلى الجهاد في سبيل الله، وحثّهُم على ذلك؛ لكن استجابة النّاس لم تتحقّق بِسَبَب ما كانوا يعرفونهُ ويعهدونه من شِدَّة الفُرْس في القتال، وبطشهم.

واستمرَّ «عمر» في الدعوة أَيّاماً ثلاثة، وليس من مجيب؛ وفي اليوْم الرابع وقف «المثنى» - رضي الله عنه - في جموع الناس في المسجد النبويّ، وتكلم؛ فحمد الله وأثنى

عليه، ثم رغّب الناس ذاكراً ما فتح الله تعالى على يَدَيْ «خالدٍ» من معظم أرض العراق، وما تحت يد المسلمين هناك من أموالٍ وأملاك، وأمتعةٍ وزاد؛ وذكّر النّاس بأيّام الجهاد والجلاد مع رسُول الله ﷺ، وبما يكرم الله الشهداء من نعيم الآخرة وحُسْنَ الثواب.

فبرز من بيْن الصفوف «أبو عُبَيْد بن مسعودٍ الثقفي» مستجيباً، وكان فارساً مشهوراً وبطلاً من أبطال المسلمين، ذا دِرْبةٍ وبأس؛ ثُمّ تتابع الناسُ من بعده متطوّعين محتسبين أَجْرهم عند الله...

وأَمّرَ «عُمَرَ» -رضي الله عنه- «أبا مسعودٍ» على القوم، الذين بلغ عددهم سبعة آلافٍ مِنَ الجُنْد، وتَرَكَ «المثنى» على قيادةِ فئته التي خلّفها في العراق، وقد جعل القيادة العامة

لِأَبي عُبَيْد؛ فاعترض بعض الناس على ذلك قائلين لعمر: هلاّ أَمَّرْت عليهم رجُلاً من الصّحابة[1]؟ فقال «عمر» - رضي الله عنه -: إنّما أؤمّر أوّل من آستجاب، إنكم إنما سبقتُم الناس بنُصْرة هذا الدين وإن هذا هو الذي استجاب قَبْلكم.

ثُمّ وجّه كلامه إلى «أَبي مسعود» فوصّاهُ في خاصة نفسه بتقوى الله وبمن معه من المسلمين خيراً، وأَمَره أَنْ يَسْتشير أصحاب رسُول الله ﷺ؛ وودَّع الجيش حتى ظاهر المدينة.

---

(١) كان تأمير الصحابة على الجند مبدأ عاماً، تعارف عليه المسلمون طيلة خلافة الصدّيق.

# مقدِّمات « القادسية »

ولقد خاض « أبو عُبَيْد » بقواته معارك شهيرة، انتصر فيها جميعاً وأَوْقع فيها بقوّات فارس هزائم منكرة، كانت كلها مقدمات وإرهاصات للمعركة الحاسمة الفاصلة، معركة « القادسيّة ».

وكانت أولى تلك المعارك معركة « النّمارق »، إذ بعث « رُسْتم » حاكم فارس قائداً له يدعى « جابان » على رأس جيش ضخم، فالتقى بـ « أبي عُبَيْد » وقوات المسلمين بمكان يُدْعى « النّمارق » – يقع بين « الحيرة » و « القادسية »، فاقْتَتَلوا هنالك قتالاً شديداً.

وكان على قيادة خيْل المسلمين «المثّنى بن حارثة»، ثم وقعت الهزيمة في صفوف الجيش الفارسي، فَفَرُّوا لا يلوون على شيءٍ، ولحق بهم «أبو عُبَيْد» في قواته إلى «كسْكر» التي احتموا بها وآزرهم صاحبها، فهزمهم أَيْضاً، وغنم مغانم كثيرة، وبعث بالخمس إلى الخليفة «الفاروق» - رضي الله عنه -.

وأرسل «رستم» جيشاً آخر بقيادة قائد آخر يُدعى «الجالينوس»، فالْتقى بقوات المسلمين عند مكانٍ يسمّى «باروسما»، لكنّه لم يصْمد أمام الزَّحْف الإسلامي، فانهزم وانكفأ. وفرّ «الجالينوس»؛ وتبعه «المثنى» في سرايا متلاحقة يوطّد هيبة الإسلام والمسلمين في تلك المناطق والديار.

# جِسْر «أبي عُبَيْد»

رجع «الجالينوس» إلى المدائن - عاصمة فارس - هارباً، فتألّم «رُسْتم» لما حَلَّ بِجُنْده وجيوشه من تلاحق الهزائم، فوطّد العزم على إرسال جيش آخر، ندب له قائداً من قادته المشهورين إسمه «بهمن جاذويْه»، وكثَّف معه عدد المقاتلين، وزوّده بِكُلّ ما يحتاجُهُ من مُعدّاتِ القتال، راجياً أن يصُدَّ التقدّم الإسلاميّ.

إلتقى «بهمن جاذويه» بقواته الجيش الإسلاميّ عند نهر «جوْر»، فأرْسل يقول للمسلمين: إما أن تعبروا إِليْنا، وإما أن نَعْبُر

إليكم؛ فقال المسلمون لأبي عُبَيْد: أأمرهم فَلْيَعْبروا إلينا؛ فقال: ما هُمْ بِأَجْرأ على المْوت مِنّا.

ولقد كانت مقالتُه هذه - رضي الله عنه - رغم ما تَشِفُّ عَنْه من عِزَّة المؤمن بالله واستهانةِ بالموت، كانت هذه المقالة وهذا التصرُّف العسكري سبباً في هزيمةٍ شديدةٍ لحقت بالمسلمين، ومذبحةٍ كُبْرى وقعت في صفوفهم، واستشهاد الآلاف منهم... وعلى رأسهم قائدهم نفسه، إذ وَجَدَ المسلمون أَنْفُسهم بعد تدفُّقهم عبر الجسْر في مكانٍ ضيِّق لا يُساعِدُ على حُرّية الحركة في القتال، وأَفْيلةٌ ضَخْمة معلّقةٌ فيها الجلاجل تُفْزع الخيْل فتضطرها إلى التراجع...

ولقد حاول «أبو عُبَيْد» - رضي الله عنه

- أن يشُقَّ طريقاً لفُرْسانِهِ بالتصدّي لأكبر الأَفيال، وقَطْع خرطومِهِ، لكن الفيل بعد أَنْ أصيب هاج هياجاً مُنْكراً وداس على «أبي عُبَيْـدة» فقضى عليـه، وارتبكـت صفوف المسلمين، وتقهقروا إلى الوراء، وضاق بهم الجسر، فمن لم يقع شهيداً في المعركة سقط غريقاً في النَّهْر.

ولوْلا عناية الله تعالى ورأفته بالمؤمنين لكانت الخسارة أَفْدح، والهزيمة أشد نُكراً؛ إذْ تولّى القيادة «المثنّى» - رضي الله عنه - واتّبع في الإنسحاب خطةً خفضت من وطْأة الهزيمة، فوقف عند الجسر مُسْتبْسلاً مع بعض فرسانه؛ صائحاً في الناس:

- أيها الناس، على هِينَتِكُم...، فإني واقف على فَمِ الْجِسْر لا أَجُوزُهُ حتى لا يبقى منكم أحد ها هنا.

فلما عدّى الناس إلى الناحية الأُخرى سار « المثنى » فنزل بهم أوّل منزل، وقام يحرسهم هو وشجعان المسلمين.

وكانت هذه المعركة في شعبان من سنة ثلاث عشرة للهجرة؛ بينها وبين « اليرموك » أربعين يوماً.

# من الجسر إلى « الْبُوَيْب »

استطاع « المثنى » - رضي الله عنه - أَنْ يُعَوِّض المسلمين ما لقيهم يَوْم الجسْر من هزيمة، وذلك بما أُوتيه من عَزْم وإيمانٍ وجُرْأة، فَشَدَّهم إليْه من جديد وضبط صفوفهم ورصَّها، وأَرْسَلَ يسْتَمِدُّ بعض أمراء النواحي من المسلمين، فأنجدوه بالعددِ والعُدَد.

وعلم بذلك الفُرْس، ورأوا أَنَّهم لم يظفروا بما كانوا يبغُون يوم الْجسْر، فَأَرْسلوا جيشاً كثيفاً بقيادة قائدٍ جديدٍ يُدْعى « مهران »، لينازل « المثنى » ويَقْضي عليْه.

فالتقوا عند « البُوَيْب » - وهو مكان

قريب من الكوفة - ، وفَصَل بين الجيشْين نهر «الفرات» ، فقال الفرس ، وفي نيتهم الْغَدْر: إما أن تعبروا إلينْا ، أو نَعْبُر إلينْكم؟ فقال «المثنى» ، وهو لا يزال يذكر موقعة الجسر: بل اعبروا أنتم إلينْا.

وكان «المثنى» - رضي الله عنه - صائماً ، والناس مثله ، فهُمْ في رمضان ، فَأَفْطر رُخْصةً وعزم على الناس ، ففعلوا مثله ، ثم وعظ الناس وخطب فيهم وحثّهم على الصَّبْر والطاعة ، وأعلن أنه مكبِّر فيهم أربع تكبيرات ، فإذا كانت الرابعة حملوا على العدوّ بكُلّ صدق وعزم وقُوَّة.

عَبَر الفُرْس حتى توافوا بكُلّ قواتهم ، فكبَّر «المثّنى» تكبيرته الأولى ، وما كاد يلحقها بالثانية حتى انقضّت جيوش الفرس

على جُنْد المسلمين، فقد كانوا على تعبئةٍ كاملة، ولقد أحدثَتْ هذه المفاجأة بعض الخلل في صفوف المسلمين، لكن «المثنّى» اَقْتَحم ببعض فرسانه قلْبَ القواتِ الفارسية حتى أزاح قائدهم «مهران» عن موقعه، وشق الصفوف، وأتاح لبعض فرسانِهِ أَنْ يقتلوا «مهران» ويَحَزّوا رأسه، وانقلب ميزان المعركة بهذه الحركة الفروسية البارعة إلى هزيمة شديدة لحقت بالفُرْس، وفرّوا من الميدان...

ثم أتبع «المثنى» - رضي الله عنه - حركته الأولى بحركةٍ أُخْرى أكثر براعةً، إذ انطلق ووراءه كوكبةٌ من الفرسان يسدّون مدخل الجسْر على قوات فارس الهاربة، واستمرّ القتال إلى الليل...، وكان عدد

القتـلى من الجيش الفارسي يقدر بعشرات الألوف.

ولقـد قال الشاعر «الأعور الشنِّي» في ذلك:

هاجَتْ لِـ«أَعْور» دارُ الحي أَحزانا
واسْتَبْدلَتْ بَعْد«عَبْدالْقَيْسِ»حسّانا
وَقَـدْ أرانـا بهـا والشَّمْـلُ مجتمعٌ
إِذْبِ «النّخيلة»قَتْلى جُنْدُ«مَهْرانا»
إِذْ كـان سار«المثنّى»بالخيولِ لَهُم
فَقَتَّل الزَّحْفَ من فُرْسٍ وجيلانا
سمالِـ«مَهْران»والجيش الذي معه
حتى أبادَهُمُ مَثْنىً وَوِحْدانا

# الأسدُ في براثِنِه

ومع إطلالة سنة أربع عشرة للهجرة كانت الأوضاع في العراق تأخذ مَنْحىً جديداً، فعلى الرغم من حصول معركة «البُوَيْب» وهزيمة الفُرْس الكُبْرى، وتعويض الخسارة التي حلَّتْ بالمسلمين يوم الْجِسْر، على الرُّغم من كُلِّ ذلك فإن المؤَشّرات الجديدة كانت توحي بالنُّذُر.

فقد انْتَفَضَتْ بعض المقاطعات على المسلمين، وخلع بعض الأمراء طاعَتَهُم، وتوحَّدت كلمةُ الفُرْس على «يَزْدَجَرْد» وأخذوا بالإستعداد من جديد، وتنازع الأميران «المثنى بن حارثة» و«جرير بن

عبد الله الْبَجْليّ » أَيُّهما له القيادة العامة على المسلمين!!

وأدرك أمير المؤمنين « الفاروق » - رضي الله عنه - بثاقب بصره ما يحيط بالمسلمين في العراق من الأخطار وما يُحدق بهم من شرور؛ فأرْسَلَ إِليْهم أن ينسحبوا إلى أدنى حدود بلاد شبه الجزيرة العربية، حتى لا يكون العدوُّ بين أظهرهم؛ ثم لينتظروا تعليماته. واتّخذ قرارهُ بالخروج بِجُنْدِ المسلمين قائداً لَهُم لمواجهة الفُرْس؛ وعقد العزم على ذلك.

وفي أَوَّل يوم من شهر محرّم الحرام سنة أربع عشرة للهجرة خَرَج على رأْسِ جَيْشٍ من المسلمين، وآسْتَخْلف على المدينة « عليّ بن أبي طالبٍ » - رضي الله عنه -، وعسْكر في مكانٍ يُدْعى « صرار ».



وهناك عقد مجلساً حربيّاً للمشاورة ضَمَّ كبار الصحابة - رضوان الله عليهم - ، فأبدى كل منهم رَأْيه ، ولمّا جاءَ دَوْرُ « عبد الرحمن بن عوْف » في الكلام ، نَصَحَ الخليفةَ أَنْ يقعد في المدينة ويُرْسل بدلاً عنه قائداً يضطلع بِعِبْء الأمر ، لأَنّ هزيمة الخليفة تعني الشيء الكثير ، فاسْتَصْوَب « عمر » رأْي « عبد الرحمن » ، وكذلك الحاضرون ، ثم سَأَلَهُ « عمر » : وَمَنْ ترى ذلك القائد؟ فقال « عبد الرحمن » بعد تفكيرٍ وروِيَّة : وَجَدْتُه؟ فقال « عمر » : ومَنْ هو؟ فقال : الأَسَدُ في براثنه ؛ « سَعْد بن أبي وقّاص » ، فانشرح صَدْر « عمر » واستدعى إليْه « سَعْداً » وأوْكل إليه المهمّة .

## النصيحة الموْعظة

ثم نَصَحَهُ قائلاً:

- يا سعْد بن وهيب، لا يَغُرَّنّك من الله أَنْ قيل خال[1] رسُولِ الله ﷺ وصاحِبُهُ، فإن الله لا يمحو السّيىء بالسَّيِّ، ولكن يمحو السِّيىء بالحسن، وإن الله ليس بَيْنه وبَيْن أحد نَسَبٌ إلاّ بطاعَتِهِ، فالناس شريفهم ووضيعُهُم في ذات الله سواء، اللهُ ربُّهم وهُمْ عبــادُه، يتفاضلون بالعافيـة، ويدركون ما عنْد الله بالطاعة، فانظر الأمْر الذي رأيت رسولَ الله ﷺ منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالْزمْهُ،

---

(١) هناك خؤولة في النسب بين «سعْد» وبين رسُول الله ﷺ.

فإنه الأمرُ، هذه عِظتي إيّاك، إن تركْتَها ورغِبْت عنها حبط عَمَلُك وكُنْتَ من الخاسرين.

## مسيرُ « سَعْد »

سار « سَعْدٌ » إلى العراق ، ورَجَعَ « عمر » بمن معه من المسلمين إلى المدينة .

ولّما انتهى « سعدٌ » إلى نهر « زَرُود » ولم يَبْق بيْنَه وبين أن يجتمع بـ « المثنى بن حارثة » إلاّ اليسير من المسافة ، انتقض جُرْح « المثنى » الذي كان قد جُرحه يوم الجسْر فمات - رضي الله عنه - .

فلمّا بلغ « سَعْداً » النّبأ ترحَّم عليه ، ثُمّ - على عادة العرب في إكرام رجالِهِم - تزوّج « سَعْدٌ » من « سلمى » زوْجة « المثنّى » ؛ واحتضنها إليْه .

وانتهت إمرة العراق كله إلى « سعد »

وانضمت القوات الإسلامية بعضها إلى بعض، فبلغ تعداد الجيش كله ستة وثلاثين أَلْفاً.

ويبدو أَنّه كان لأمير المؤمنين «عمر» - رضي الله عنه - رأي في كيفيَّة التعبئة وتنظيم القوّات إذ كتب إلى «سَعْدٍ» أن يجعل الأمراء على القبائل، والعُرفاء على كل عشرة عريفاً على الجيوش، وأن يواعدهم إلى «القادسية».

وقد ولّى أمير المؤمنين «عمر» على قضاء الناس: «عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي»، وجعل إِليْه الأقياض وقسمة الفيء، كما ولّى «سلمان الفارسيّ» داعيةً للناس وواعظاً وقاصاً ودليلاً، وولّى «زياد بن أبي سفيان»(١) أمر الكتابة والمراسلة.

---

(١) زياد بن أبيه؛ كما هو مشهور.

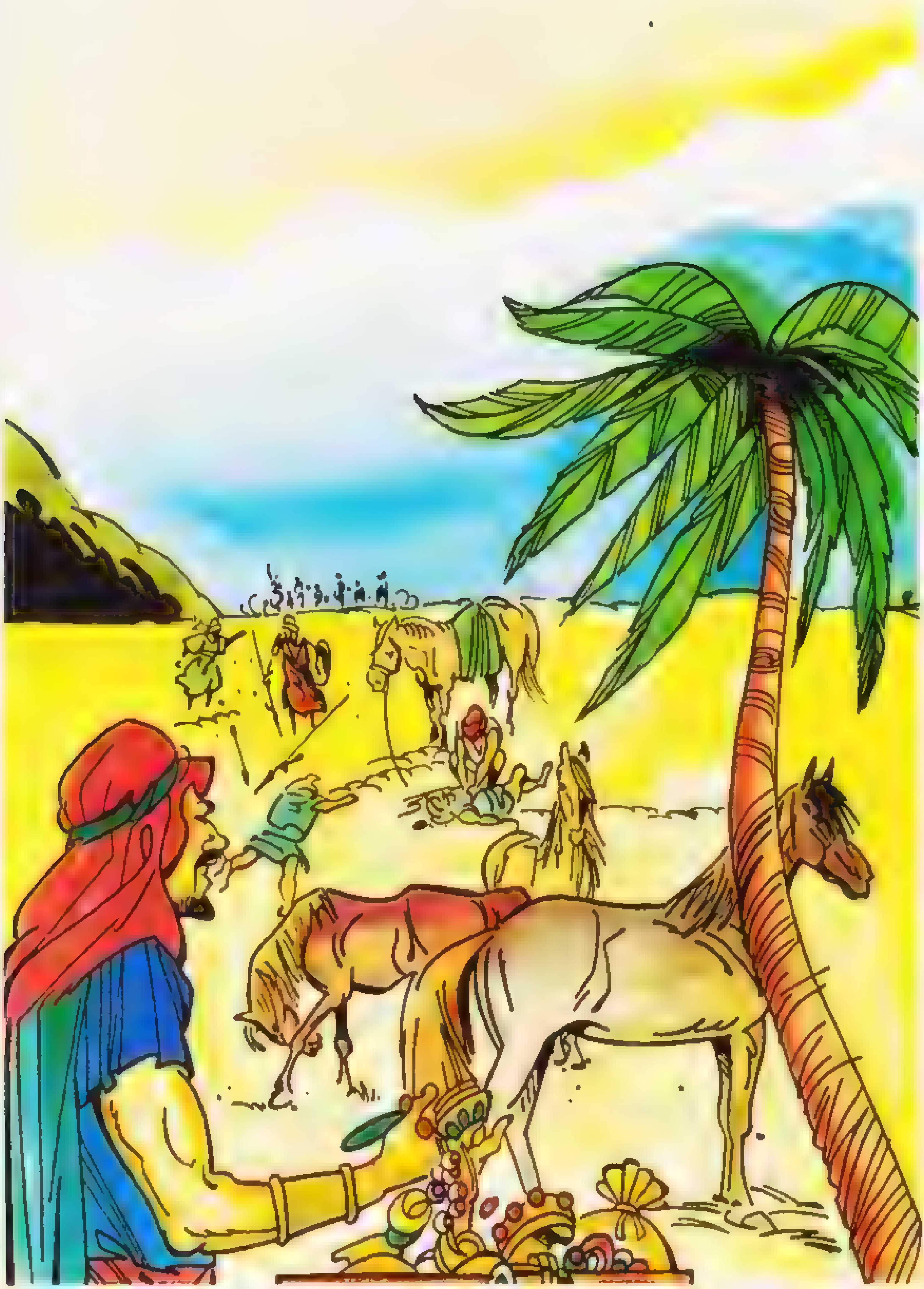
كما جاء في كتابه إلى « سَعْدٍ » أَيْضاً:

« أن يكون بين الحجر والمدَر ، وأن يأخذ الطرق والمسالك على فارس ، وأن يبدروهم بالضرب والشّدَّة ، ولا يهولنّك كثرة عَددهم وعُددهم فإنهم قوم خدعةٌ مَكَرة ، وإن أَنْتُم صَبَرْتُم وأَحْسَنْتُم ونويْتُم الأمانة رَجَوْتُ أن تُنْصروا عليهم ، ثم لم يجتمع لهم شملهم أبداً إلاّ أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم . . . » .

إلى آخر ما جاء في ذلك الكتاب من حُسن توجيه ودقّة تنظيم وبُعْد نظر .

ولقد أخذ « سعد » - رضي الله عنه - نفسه وجُنْده بكُلّ ما وجَّه إليه أمير المؤمنين ، ونصح بِهِ .

ونُحبّ أن نضيف فقط عبارة إلى ما قاله أمير المؤمنين « عمر » ، لتكْتمل صورة التعامُل



المثاليّ بيْن القيادة السياسية والعسكرية.

قال في كتابه إلى « سعد »:

« ... واكتُب إليَّ بجميع أحوالكم وتفاصيلها، وكيف تنزلون، وأين يكون منكم عدوّكم، واجعلْني بكُتُبك كأني أنظر إليكم، واجْعلني من أمركم على الجليَّة... ».

# فِي القادسيَّة

بلـغ « سعـدٌ » - القادسيَّة -، فتوقّف عندها كما أَمَرَهُ « عُمَر » - رضي الله عنه -، والقادسيَّةُ كما قُلْنا في التوطئة قرية صغيرة لاأهمية ولا شأن لها سوى أنها كانت ممرَّ العرب في الجاهلية إلى فارس.

ومن هناك أَخَذَ يُرْسل سرايا الإستطلاع تعمِّق في الديار والأَمْصار، وكأنها المناوشة، ثم تعودُ محمَّلَةً بالغنائم والسَّبْي.

ومكث على ذلك شَهْراً ودُونَ أن يَظْهر للعدو أَثَرٌ أو تحرُّك، فكتب إلى « عمر » يخبره ويطلعه على الوقائع والأَحْوال.

ثم إن الفُرْس قد ضجّوا بما لحقهم من

غارات سرايا «سَعْد» وهجومها الصاعق المتلاحق، وضرباتها الخاطفة، فجاؤوا إلى «كسرى - يَزْدجَرْد» في عاصمة مُلْكه المدائن شاكين متألّمين؛ وطلبوا إليْه أن يُبادر في ردّ العدوان عنهم.

وبعد بحثٍ ودَرْسٍ اسْتَقَرَّ رأْي «يزدجرْد» على تأليف جَيْش قوي يضُمّ مختلف قوات فارس، يوكل أمره إلى «رُسْتم» ليقوم بسحْق القوات الإسلامية والقضاء عليها قضاءً مُبْرماً لا قيام بعده.

لكن «رُسْتم» أبدى اعتراضاً وقال: إِنّ اتباع طريقة الجيوش المتلاحقة أجدى وأنفع في إِنْهاك العرب وإضعافهم، أما أن يهزموا جيشاً واحداً هُوَ عُدَّة فارس كُلّها، فإن في ذلك كل المخاطرة والمغامرة.

فلم يَسْتَمِع «يزدجرْد» لنصيحة قائده

« رُسْتم » وأصَرَّ على موقفه، فلم يجد « رستم » مفرّاً من الإذعان والتسليم، ورضخ لمشيئة الملك، وخَرَج من « المدائن » في جَيْشٍ لجِبٍ بلغ عدد جنده ما يزيد على المائة أَلْفٍ، فيه كبار القادة العسكريين، أمثال « الجالينوس » وغيره، وفي الجيش أيضاً ما يزيد على ثلاثين فيلاً ضَخْماً لاَسْتخدامها في إرهاب خيْل المسلمين كما حدث في معركة الجسر.

وتقدَّم « رُسْتم » بجنده حتى نزل في مكان يدعى « ساباط »، وأقام معسكره، فأرسل « سعد » إلى الخليفة « عمر بن الخطاب » يقول:

– إن رستم قد عسكر بساباط وجَرَّ الخيول والفيول وزحف علينا بها، وليس شيء أهم عندي ولا أكثر ذكراً مني لما أحببت أن أكون عليه من الإستعانة والتوكّل.



## المراسلة بين الطرفيْن

وبعث « رستم » إلى « سعد » أَنْ يَبْعَثَ إليْه برجُل عاقلٍ، عالمٍ بما أسأله عنه.

فأوْفد إليه « سَعْدٌ » وفْداً ضَمَّ جماعةً من السادات منهم: النعمان بن مقَرِّن، وفرات بن حبان، وحنظلة بن الربيع، وعطارد بن حاجب، والأشعث بن قيس، والمغيرة بن شعبة، وعمرو بن معديكرب الزبيدي.

وقد اشتهر من بين هؤلاء السادة: « المغيرة ابن شُعْبة » بالدَّهاءِ وسعة الحيلة وحُسْن المحادثة والمحاورة، فكان المتحدث مع « رسْتم » باسم القوْم.

قال «رُسْتم»: إنكم جيراننا وكُنّا نحنَّ إليكم ونكـف الأذى عنـكم، فارجعوا إلى بلادكم ولا نمنع تجارتكم من الدخول إلى بلادنا.

فردّ «المغيرة»: إنّا ليس طلبنا الدنيا، وإنما همنا وطلبنا الآخرة وقد بعث الله إلينا رسُولاً قال له: إني قد سلَّطْتُ هذه الطائفة على من لم يَدِنْ بديني فأنا منتقم بهم منهم، وأجعل لهم الغلبة ما داموا مقرّين به، وهو دين الحق، لا يرغب عنه أحدٌ إلاّ ذلَّ، ولا يعتصم به إلاّ عَزّ.

فقال «رستم»: فما هو؟

قال «المغيرة»: أما عموده الذي لا يصلح شيء منه إلاّ به فشهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسُول الله، والإقرار بما جاء من عند الله.

فقال: ما أحسن هذا!! وأي شيء أيضاً؟

قال «المغيرة»: وإخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله.

قال «رستم»: وحسنٌ أيضاً!!! وأي شيءٍ أيضاً؟

قال: والناسُ بنو آدم، فهم إخوة لأبٍ وأُمّ.

قال «رستم»: حسنٌ أيضاً؛ أرأيْتُم إن دخلنا في دينكم أترجعون عن بلادنا؟

قال «المغيرة»: إي والله، ثم لا نقرب بلادكم إلاّ في تجارةٍ أو حاجة.

وخرج الوفد من عند «رُسْتم»، دون أن يتوصَّل الطرفانِ إلى اتفاق، لقد كان المسلمون صادقين في أقوالهم ودعاويهم واستجابتهم، وكان «رستُم» مراوغاً ماكراً يريدُ أن يضجر «سعد» ومن معه، فيعودوا من حيث أتوا.

ثُمَّ طَلَبَ « رستم » في بعثٍ أخر أَنْ يأتيه مفاوض جديد...

فأرسل إليه « سعدٌ » واحداً من رجاله إسمُه « ربْعيُّ بن عامر ».

وإليك - عزيزي القارىء - صورةً عن هذا اللقاء، كما أوردتْه كُتُبُ التاريخ والسِّير؛ قالوا:

ثم بعث إليه سعد رسُولاً آخر بطلبه، وهو « ربعيُّ بن عامر »، وقد زيّنوا مجلسه بالنّمارق المذهّبة، والزرابيّ الحرير، وأظهر اللآلىء واليواقيت، والزينة العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة، وقد جلس على سريرٍ مذهّب.

ودخل « ربعيٌّ » بثيابٍ صفيقةٍ وسيفٍ وتُرْس وفرسٍ قصيرة، ولم يزل راكباً حتى

داس بها على طرف البساط، ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودِرْعُه، وبيضته على رأسه.

فقالوا له: ضَعْ سلاحك، فقال: إني لم آتكم، وإنما جئتكم حين دعوْتموني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

فقال «رُسْتم»: إئْذنوا له، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق عامتها، فلما واجه «رُسْتم» سأله: ما جاءَ بكُم؟

قال «ربْعيٌّ»: إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جَوْر الأديان إلى عدْل الإسلام، فأرسلنا بدينِهِ إلى خَلْقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلْنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نُفْضي إلى موعود الله.

قال « رستم »: وما موعود الله؟

قال « ربعي »: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي.

فقال « رستم »: قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا هـذا الأمر حـتى تنظر فيـه وننظروا؟

قـال: نعم، كم أحـبّ إليـكم؟ يوماً أو يومين؟

قال: لا، بل حتى نكاتب أهل رأينا ورؤساء قومنا.

فقال « رَبْعي: » ما سَنَّ لنا رسُولُ الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء أكثر من ثلاث، فانظر في أمرك وأمرهم وآخْتَر واحدة من ثلاثٍ بعد الأجل.

فقال « رستم » متعجّباً من ثقة « رَبعي » بنفسه وكلامه: أسيِّدهم أنْت؟

قال: لا ، ولكن المسلمين كالجسد الواحد يُجير أدناهم أعلاهم.

ثُمّ خَرَجَ « ربعي » من عند « رُسْتُم » وقد أَدّى ما عليْه من واجب الرسالة والبلاغة.

# المعركة

وحيث لم تؤت المفاوضات والمراسلاتُ بَيْن الطرفين بنتيجة، تعبأ الجميع للْقتال ونَظَّموا صفوفهم وتهيأوا للِّقاء.

خَطَبَ «سَعْدٌ» في المسلمين وصلّى بهم جماعةً، ووعظهم وحثَّهم على الجهاد والصَّبْر. وقرأ عليهم قوْل الله تعالى: ﴿ولقد كتْبنا في الزّبُور من بَعْد الذّكْر أَنّ الأرض يرثُها عبادي الصالحون﴾.

وطلبَ إلى جماعة من كرام الصحابة من القُرّاء أن يتلوا على الناس آيات الجهاد؛ فكانَتْ تدوّي في الآذان وتعمل في النفوس عمل السِّحر.

كان « سعد » - رضي الله عنه - مريضاً بعِرْق النسا، وقد تَقَرَّحتْ فخذيْه من كثرة ماامتطى صهوات الجياد، وخاض من معارك في سبيل الله، فلم يقدر أيام « القادسية » أَنْ يخوض قتالاً أَوْ يُباشر طعاناً، وقد اكتفى برَسْم الخطة وتوزيع القوات والإشراف على توجيه وإدارة المعارك، من شُرْفَةِ البناء الذي كان يتخذه مقرّاً للقيادة.

وكانت كلمة السرِّ في بدء القتال هو أن يكبّر « سعد » أَرْبع تكبيرات، ومع نهاية التكبيرة الرابعة يكون الإلتحام.

فلما أَنْ سمع جُنْد الله « سَعْداً » يختم تكبيراته المتفق عليْها حتى اندفعوا نحو الجيش الفارسي كالسَّيْل المتدفق لا يحجزه شيء.

لكن قتال اليوْم كان يختلف عن كُلّ قتالٍ

سبقه بَيْن المسلمين وبَيْن الفُرْس، ذلك أن كثافة جُنْد الأعداء، وترابُطَ البعض منهم بالسَّلاسل، وتقدّم الْفِيَلةِ الصفوف صَدّ الهجوم الإسلامي الأوّل.

وما زال الطرفانِ يتقاتلان ويتطاعنان دون أَنْ يسجّل أي طرفٍ نَصْراً على الآخر حتى حجز بينهم الليل، وعاد كُلٌّ إلى مُعَسْكره، يُلَمْلم الجراح، ويواسي المصابين، ويواري قتلاه، ولقد استشهد في هذا اليوْم من جند الإسلام عدد كبير..

## صُوَرٌ ميدانيَّةٌ

ولقد سجّلَتْ أيام القادسيّة صُوَراً مشرّفة لبطولاتٍ إسلاميةٍ، كانت هي أو بعضها السبب المباشر الذي أدى في النهاية إلى هزيمة الفُرْس الكبرى، وانتصار المسلمين.

ويجدُرُ بنا أَنْ نُسَجِّل بعض تلك الصُّوَر ونُبْرزها.

منها ما يُروى عن أبي محجنٍ الثقفي؛ الذي كان فارساً مشهوراً من فرسان قبيلة ثقيف وبطلاً معروفاً؛ لكنه كان - كما يروى - يعاقر الخمْر، وفيه شاعرية، فيقول الشِّعر الماجن في وَصْف الخمر، ومغامراته من خلالها؛ ولقد

غَرَّبه « عُمَر » أمير المؤمنين – رضي الله عنه – عن المدينة ونفاه، فاتجه إلى العراق ملتحقاً بالجيوش الإسلامية، لكنه وكما يبدو من تسلْسل الأحداث، قد عاود سابق سيرته، فقبض عليه « سَعْد » وحَبَسه.

وفي ذات يوم من أيّام القادسية – الأرْبعة – سمع « أَبُو محجنٍ » في مَحْبَسِهِ أَصْواتاً وقَعْقعةً تدنو منه، فحمل بَيْن يديْه قيوده وأصفاده وأَطَلّ من النافذة الصغيرة الضيّقة فرأى خيل العدوّ تخوض في صفوف المسلمين وتقترب من مقرّ القيادة، فثارَتْ في نَفْسِهِ حميَّة الدّين. وأَنْشد:

كفى حزناً أن ترتدي الخيل بالقنا
وأُتْرك مشدوداً عليَّ وثاقيا
إذا قُمْتُ عنّاني الحديد وغُلِّقت
مصاريعُ من دوني تصمُّ المناديا

وقد كنتُ ذا مالٍ كثيرٍ وإخوةٍ
وقد تركوني مُفْرداً لا أخا ليا

ومرّت به في أثناء ذلك « سلمى » زوجة « سعد » فاستوْقفها واستحلفها أن تطلق سراحه ليخوض المعركة، وأقسم بالله جَهْد أيمانه أن يعود إلى محبسه ويضع رجليْه في القيد كما كان.

وبعد إلحاحٍ ومحاورة وافقته وهي خائفة، فخرج « أبو محجنٍ » وامتطى فرس « سعْدٍ » - البلقاء -، وانطلق يشقّ صفوف الأعداء ويفعل بهم الأفاعيل، ومع إقبال اللَّيْل، أَدْبر « أبو محجن » من الميدان وعاد إلى محبسه وقيده كما وعد، وتكرَّر مِنْه نفس العمل في اليوْم التالي، وكان « سعد » يرقب ذلك من الشرفة، وراح يتساءل عن الفارس والفرس، مبدياً إعجابه واستغرابه، فلما عَرَفَ حقيقة

الأمْر وتوْبة «أبي محجنٍ» عن شرب الخمر أو ذكرها، أطلق سراحه، وتركه ينضم إلى صفوف المقاتلين.

وصورةٌ أُخرى يرويها أَحَدُ الذين خاضوا معارك أيام القادسية، «قيس بن أبي حازم البجلي»؛ قال:

كان معنا رجُلٌ من ثقيف فَلَحِقَ بالفُرْس مُرْتدّاً، فَأَخْبَرهم بأن بأْس الناس في الجانب الذي فيه «بُجَيْلة»، قال: وكُنّا رُبْع الناس، فوجّهوا إليْنا ستة عشر فيلاً وجعلوا يُلْقُونَ تحت أرجل خيولنا حَسَكَ الحديد، ويرشقوننا بالنّشّاب، فلكأنّه المطر، وقرّبوا خيولهم بعضها إلى بعضٍ لئلا ينفروا.

وكان «عمرو بن معديكرب الزَّبيدي» يمُرّ بنا فيقول: يا معشر المهاجرين كونوا أُسوداً فإنما الفارسيّ تَيْس.

وكان فيهم «أسوار» لا تكاد تسقط له نشابة، فقلنا له: يا أبا ثور نِقْ ذاك الفارس فإنه لا تسقط له نشابة، فوجّهَ إليه الفارس بنشابة فأصاب ترسه، وحمل عليه «عمرو» فاعتنقه فذبحه فاستلبه سوارَيْن من ذهب، ومِنْطقه من ذهبٍ، ويلْمقاً من ديباج.

وهنــاك صُوَر كثـيرة لبطولاتٍ فرديّـة وجماعية، قام بها فرسان المسلمين وجموع قبائلهم وعشائرهم في تلك الأيّام، يطول ذكرها، ويعجز القلم عن وصفها.

# ليْلة الهرير
# و
# اليوم الحاسم

مرَّت ثلاثة أيام بلياليها على المسلمين وهُمْ يواجهون جَيْش الفُرْس الجرار وعُددهم الثقيلـة، بصَبْر وإيمـان، وعزْم واقْتـدار؛ لا يرهبون الفيلة ولا ينكفئون عن الميدان، ويوقعوا في صفوف العدو أَلْواناً من الهزائم والخسارات.

ثم كانت ليلة الهرير، وهي ليلة اليوم الرابع: يوم القادسية.

يقول ابن إسحاق في روايته عن ذلك اليوم:

(... فلما أصبح اليوم الرابع اقتتلوا قتالاً شديداً، وقد قاسوا من الْفيلة بالنسبة إلى الخيول العربية بسبب نفرتها منها، أمراً بليغاً، وقد أباد الصحابة الفيلة ومن عليها، وقلعوا عيونها، وأَبْلى جماعة من الشجعان في هذه الأيام، أمثال: طُلَيْحة الأسدي، وعمرو بن معديكرب، والقعقاع بن عمرو، وجرير بن عبد الله البجلي، وضِرار بن الخطاب، وخالد ابن عُرْفطة، وأشكالهم وأَضْرابهم...

فلمّا كان وقت الزوال من هذا اليوم - ويُسمّى يوم القادسيّة -، وكان يوم الإثنين من المحرّم سنة أربع عشرة، هَبَّت ريح شديدة، فرفعت خيام الفُرْس عن أماكنها وأَلْقت سرير «رُسْتم» الذي هُوَ منصوب له، فبادر فركب بغلته وهرب، فأدركه المسلمون فقتلوه، وقتلوا «الجالينوس» مقدّم الطلائع القادسية،

وانهزمت الفرس - ولله الحمد والمنّة - عن بكرة أبيهم).

ويتابع ابن اسحاق روايته فيقول:

(... وساق المسلمون خلف المنهزمين حتى دخلوا وراءهم مدينة المُلْك، وهي «المدائن» التي فيها الإيوان الكسروي...).

(... وقد غنم المسلمون من وقعة القادسية هـذه من الأموال والسلاح مـا لا يُحَـدُّ ولا يوصف كثرةً، فحصِّلتْ الغنائم بعد حرب الأسلاب وخمّست، وبُعث بالخمس والبشارة إلى أمير المؤمنين «عمر بن الخطاب» - رضي الله عنه -).

وقد كان «عمر» - رضي الله عنه - يستخبر عن أمر القادسية كُلّ من لقيه من الركبان، ويخرج من المدينة إلى ناحية العراق

يستنشق الخبر؛ فبينما هو ذات يوم من الأيام إذا هُوَ براكب يلوح من بُعْدٍ، فاستقبله «عمر» فاستخبره، فقال له: فَتَحَ اللهُ على المسلمين بالقادسيّة وغنموا غنائم كثيرة، وجعل يحدّثه وهُوَ لا يعرفُ «عمر»، و«عمر» ماشٍ تحت راحلته، فلمّا اقْتربا من المدينة جعل الناس يحيُّون «عمر» بالإمارة فعرف الرجل «عمر» فقال: يرحمك الله يا أمير المؤمنين هلاّ أعلمتني أنَّك الخليفة!!!

فقال «عمر»: لا حَرَج عليك يا أخي.

# سعدٌ في « المدائن »

دخـــــل الجيش الإسلامي « المدائن » عاصمة مُلْك الأكاسرة، كما قدّمنا، مطارداً لفلُولِ قُوّاتِ « فارس »، وكانت « المدائن » بما فيها من قصورٍ وما فيها من آيات الحضارة وعظمة الملك، بدْعاً بَيْن المدن، ومن أعجب ما فيها « الإيوان » مقر السلطان وقصر الحكم، بشرفاته وأبهائه وزينته، وأثاثه ورياشِهِ، وما امتلأ وزخَر بِهِ من حُلّيٍ وتحف وجواهر.

وقف « سعد » في وسط الإيوان يَحفّ به أَرْكان حَرْبه من كبار القادة والأمراء، ينظرون إلى كُلّ ذلك وهم في غاية التعجُّب

والدهشة، ولا تكاد أعينهم تستقرُّ على تحفةٍ فنيَّــــةٍ حــتى تشدُّهُم إليهــا أُخْرى، وإذا بـ« سعد » - رضي الله عنه - يَتْلو قوْل الله تعالى بصوتٍ عالٍ يتردد في جنبات الإيوان:

﴿كَمْ تركوا من جَنّاتٍ وعُيُون • وزروع ومقام كريم • ونعمةٍ كانوا فيها فاكهين • كذلك وأورثناها قوْماً آخرين • فما بكتْ عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾.

# الأُمناء

وكان من جُمْلَةِ ما أُرْسل من خمس الغنائم إلى الخليفة « الفاروق » – رضي الله عنه – قطعةٌ من قباء كسرى قد رُصِّعت بأنفس أنواع الدرِّ والجوهر.

فلمّا بُسِطَتْ بَيْن يدي الخليفة في المدينة تجمّع كبار الصحابة ينظرون إليها وكُلٌّ يُبْدي إعجابه مما يرى؛ فما عَهدوا لدى « قيصر » أو « النجاشي » أو غيرهما من ملوك الأرض نفاسةً ولا أُبّهةً تُضارع هذا...

فماذا يا تُرى كان تعليق الخليفة « عمر » – رضي الله عنه – على ذلك؟

لقد قال، وقد دمعت عينْاه:

– إنَّ قوْماً أَدُّوا هذا لأُمناء..!

وهو يَعْني جُنْده الذين ساحوا في الأرض، مشارقها ومغاربها، لا طمع لهم في دنيا الناس إلاّ بقدر ما يتبلَّغ الإنسان عَيْشه واستمراره، ما غَرَّتهم الحياة وما فتنتْهم ولا انحرفَتْ بهم زينتها وزخارفها عن هدفهم الذي خرجوا من أَجْله، فكانوا حقّاً أُمناء.

وفي نفس الموقف كان «عليٌّ بن أبي طالب» – كرَّم الله وَجْهه يقف قريباً من أمير المؤمنين «عمر» فقال تعليقاً على مقالة «عُمر»:

– يا أمير المؤمنين... لقد عَفَفْتَ فعفَّتِ الرعيَّة، ولوْ رَتَعْتَ لرتعوا.

وتظل القيادة – يا عزيزي القارىء –

على مدى الدَّهْر عُنْواناً لانضباط المجتمعات أو انحرافها؛ لسلوكها الصراط المستقيم، أو تردّيها في قاع الجحيم، دُنْياً وآخرة.

# نتائج الْفَتْح وآثاره

كانت كثير من القبائل العربية التي تسكن أطراف العراق، قد نقضت عهدها مع المسلمين وخلعت طاعة أمير المؤمنين، ولقد عانى قادة الجيوش الإسلامية قَبْل «سعد» وقبل القادسية كثيراً من أذاها وما جرّتْه مواقفها من أضرارٍ ومتاعب.

هذه القبائل ظَلّت شوكةً تؤرق جانب القوات الإسلاميّة في زحفها المقدّس نحو فارس، وتنتظر مؤمّلةً هزيمة المسلمين واندحارهم على يدِ جيوش كسرى، وما كان يخطر في بالها أبداً أن يكتب الله تعالى النَّصْر للمسلمين.

فلما كانت « القادسية » ودخل المسلمون « المدائن » ولاحقوا فلول الجيش الكسروي المنهزم شرقاً وغرباً، أسرعت تلك القبائل بالإنضمام إلى المسلمين وإعلان الطاعة والولاء، وقد تنوعت الأسباب، فمنهم من أتى نادماً راغباً، ومنهم من أتى خائفاً مُكْرهاً، ومنهم من أتى طامعاً بالغنيمة والسلب.

ولم تبق قبيلة واحدة إلا وبادرت، من أقصى الشمال الغربي إلى أقصى الجنوب الشرقي، من حدود بادية الشام إلى البحريْن، وغيرها.

هذا على صعيد الداخل، أما على الصعيد الخارجي، وفي قلب بلاد فارس فقد انهارت إلى الأْبَد حضارة الأكاسرة وسلطانهم، حضارة الإستبداد والظلم والطغيان وعبادة النيران،

حضارة زائفة تمثّلت في المظْهر والزينة... دون الولوج إلى صميم الذات الإنسانية تُعْلي من قَدْرها وترفع من شأنها.

وانساحت بعد ذلك راية التوحيد ترفعها السواعد المؤمنة، في كُلّ أنحاء فارس، فما مضت بِضْع سنواتٍ حتى كانت فارس كلها قد دخلت في دين الله، وانطفأتِ النيران، ولم تعُدْ هناك جبهة إنسان تسجد إلاّ للخالق الديّان.

ومن ثَـمَّ بدأت عمليَّة قَرْع أبواب الهند والشرق الأقصى؛ وإيقاظ المجتمعات من غفلة سُباتها الذي ران عليها بالأساطير والخرافات رِدْحاً طويلاً من الزمن؛ ولتسمع آذانها نداء الحق مجلجلاً مدوّياً: الله أكبر.

# سواريْ كِسْرى

تذكر ولا شك - عزيزي القارىء - قصة الفارس المغامر «سُراقة بن مالك»، الذي طمع في جائزة قريش، مائة ناقة، لمن يلقي القبض على رسُول الله ﷺ وصاحبه الصدّيق يوم الهجرة من مكة إلى المدينة.

لقد غرّتْه نفسه، ولعب به هواه، فركب فرسه وحمل سلاحه، ومضى يتتَبَّعُ الأثر حتى أدركهما، ولكنه لم يُفْلح في مسعاه، إذْ ساخت قوائم فرسه مرتيْن في الرِّمال، ومَنَعَ اللهُ رسُوله وحفظه من كُلّ مكروه.

«سُراقة» هذا، تشاءم مما حَدَث له،

وخاف من الكرَّة الثالثة، فأَعْلن التَّوْبة وطلبَ من رسُول الله عَهْداً، وحدَّثه النبي (عليه السلام): ورغَّبه في الإسلام، وأمّنه كما شاء وطلب، وتعهّد «سراقة» أَنْ يضلّل قريشاً ويصرفها عن متابعة البحث والتنقيب.

إلى هنا، والقصة عادية.

ولكن يستوقفنا أمر، لقد كان مما منّاهُ به رسُول الله ﷺ قوله:

– وكيف بك يا «سُراقة» وقد لَبِسْتَ سواريْ «كسرى»!!!

ويُبدي «سراقة» غاية العجب.

نعم، وقد حُقّ له ذلك...

إنسانٌ هارب من بطش قومه، ليس له من حوْل ولا طوْل يَعِدُه أن يَلْبسَ سواريْ كِسْرى؟!! إن هذا لشيءٌ عُجاب.

وتتحقّق نبوءة المصطفى (عليه السلام)؛ إذ خرج «سراقة» إلى «القادسية»، وكان قد أَسْلَمَ من قَبْل وجاهد في سبيل الله؛ وخاض المعركة بكُلّ وجدانِهِ وبطولته، وانتصر المسلمون، ودخل مع «سَعْدٍ» إلى «المدائن»، وحين وقع بصره على سواريْ «كسرى» نظر إليهما بعينيْن دامعتيْن وذكر وَعْد رسُول الله ﷺ له، فلم يَلْبَثْ أن ردّد:

- صَدَقْتَ يا رسُول الله.

ومَنَحَ «سعدٌ» «سُراقة» السواريْن، فلبسهما وهو يكاد يطير من الْفرح، وراح يدور في أنحاء المكان جذلاً طرباً.

# كلمة أخيرة

لئن كانت « القادسية » معركة حاسمة فاصلة، فإن ما سبقها من معارك وما سبقها من وقائع كانت جزءاً لا يتجزأُ منها، ولذا أردفْت كلمة « القادسية » بكلمة « الأيام »، فيجدر بنا أن لا نَنْسى « خالداً » وضرباته في العراق، وحروبه وانتصاراته، وكذلك « المثنّى ابن حارثة » و« جرير بن عبد الله البجلي » وشهيد الجسر « أبا عُبَيْد بن مسعود الثقفي - رضي الله عنهم أجمعين -، فقد كانوا جميعاً طليعة اليوم العظيم، يوم دخول قوات الإسلام الظافرة إلى « المدائن »، وتلاوة القرآن في رحاب « الإيوان »، وخمود النيران.

# هذه السلسلة

هذه السلسلة من انتصارات العرب ، محاولة جديدة من ضمن المحاولات الخيّرة التي سبقنا اليها ، آملين أن تساهم في تقويم النشء العربي وتوجيهه على أساس من الأخلاق والمثل الفاضلة، التي وضعها ديننا الحنيف لأبنائه ، وجسّمها الرسول الكريم نماذج حيّة بين البشر في أفعالـه وأقواله .

فمن أحسن قدوة تقتدى ؟. ومـن أهدى دليل يتّبع غيره ؟

فسيرتـه صور من الكمال والرفعة والإشراق ينبغي أن يلقنها الأبناء بأسلوب مبسط سهل بعيد عن التعقيد ، قريب من الفهم يستهويهم ويستميلهم للقـراءة ، وهذا ما حاولنا القيام به والله المعين .

الناشر

دار المسيرة
بيروت



ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
amirart1969